تاريخ الإرسال: 2014/03/23 - تاريخ القبول للنشر: 3014/04/30 تاريخ النشر: 2014/07/06

المقاومات الشعبية جنوب الجلفة خلال القرن 19 و بداية الـ 20 من خلال بعض المصادر الفرنسية
(مقاومتا أولاد طعبة و أولاد عيسى أنموذجا) .

أ / امحمد قزود .
أستاذ بقسم العلوم الإنسانية. جامعة الجلفة.

لم يحظ اي قطر عربي بما حظيت به الجزائر من كتابات تاريخية غربية منذ بداية القرن السادس عشر ، و كلما زاد نفوذ الجزائر في الساحة المتوسطية زاد خوف و اهتمام . الغربيين عموما و الفرنسيين خصوصا . بكل تفاصيل تلك الدولة الناشئة ، و نشط الجواسيس و القناصلة و الأسرى و الرحالون وحتى الرهبان في إرسال التقارير عن كل مناحي الحياة في الجزائر إلى عواصمهم علهم يجدون نقاط ضعف أو ثغرات يشنون منها الغارات ويحدّون بها من قوة ذلك المارد الإسلامي الذي صار يشكل خطرا على النفوذ الصليبي في الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط .

لعب المؤرخون و الكتاب الفرنسيون دورا بارزا في توجيه أنظار العالم المسيحي نحو الجزائر قبل 1830 و كانت نزعة الحقد و الكراهية السائدة في كل كتاباتهم و تقاريرهم وأطلقوا على مدينة الجزائر كل الأوصاف المشينة مثل (حجر اللصوص ، و عش الصعاليك و جحيم إفريقيا ...) ، و بعد سقوط الجزائر بين أيدي فرنسا الصليبية سنة 1830 دخل جيش من المؤرخين والكتاب الفرنسيين الجزائر و عملوا على معرفة كل شيء عن الجزائر منذ ما قبل التاريخ ، و كان من ضمن أهدافهم إسقاط التاريخ الإسلامي العثماني من حلقات التاريخ الجزائري و تصفية الحساب مع الجزائر الحديثة على صفحات التاريخ .

لقد مهدت كل الدراسات التاريخية الفرنسية عن الجزائر الحديثة لاستعمار فرنسا للجزائر وفي المقابل كان هدف كل الدراسات التاريخية و الاجتماعية التي قام بها المؤرخون والكتاب الفرنسيون منذ 1830 عن الجزائر المستعمرة ترسيخ أقدام الاستعمار .

لكن رغم كل ما قلناه عن الأهداف و خلفيات الاستعمارية للمؤرخين الفرنسيين في الجزائر فلا يمكننا الاستغناء عن تلك المادة التاريخية الضخمة التي أنتجها مؤرخون الغربيون عن الجزائر منذ 1830 ، فكتاباتهم تعد مصادر لا بد لنا من العودة إليها ، سواء في التاريخ الوطني أو التاريخ المحلي (الجلفاوي) .

تجدر الإشارة إلى ان تلك الكتابات يجب ان تؤخذ بتحفظ ، خاصة ما تعلق منها بعاداتنا وتقاليدها و ديننا ، فأمثال هؤلاء غالبا ما يدسون السم في العسل في مثل هاته المجالات الحساسة التي تمس هويتنا العربية الاسلامية .

لقد شارك أبناء منطقة الجلفة في معظم المقاومات الوطنية طيلة القرن التاسع عشر تقريبا ، فساهم فرسان أولاد نائل مع الأمير عبد القادر ، و الشيخ موسى الدرقاوي ومقاومة الزعاطشة ، وبومعزة ، و مع الثائر بن ناصر بن شهرة ، و مقاومة محمد بن عبد الله شريف ورقلة ، كما كان لهم اسهاما في ثورة المقراني و مقاومة اولاد سيدي الشيخ ، ونظموا مقامات بقيادات محلية من أهمها ثورة التلي بن لكحل ، و يو شندوقة ، و صولا إلى ثورة طاهيري سي عبد الرحمان بن الطاهر مطلع القرن العشرين .

لقد حظيت مقاومات أبناء الجلفة باهتمام ودراسة الكثير من المؤرخين الفرنسيين مثل (فرونسوا دي فيلاري François de VILLARET)، وكذا القادة العسكريين من خلال تقاريرهم (كالعقيد ثيودور بان M.Th PEIN) ، اضافة الى ما كتبه المترجمون العسكريون وكان على رأسهم (آرنو Arnaud [1]) ، لكن الجلفة وابناؤها ظلت هدفا لحملات التنكيل و التشويه عبر اغلب تلك الكتابات التاريخية والتي استهدفت ثقافتهم وعملت على تشويه صورتهم حين أظهرتهم في شكل قطاع طرق او مجموعات قبلية غير متحضرة . من المنظور الاستعماري . رافضة للرسالة الحضارية التي ادعى مؤرخوا العهد الاستعماري إن فرنسا أرادت إيصالها لأبناء هاته الربوع ؟ .

مشاركة عروش جنوب الجلفة في مقاومة الامير عبد القادر .

لقد اكد (فرونسوا ديفيلاري) في كتابه (قرون السهوب Siècles de steppe) مشاركة عرش اولاد نائل في مقاومة الامير عبد القادر منذ و صوله إلى المنطقة سنة 1936 ، حيث تمت مبايعته بالمكان المسمى الكرمونية طرف عروش اولاد نائل هناك [2] وصارت الجلفة ضمن دولة الامير عبد القادر الحديثة ، و بما ان موضوعنا يتمحور حول المقاومات بجنوب الجلفة تحديدا فإننا نقصد بها مجموعة عروش المنطقة الجنوبية مثل (ولاد ملخوة ، اولاد لعور اولاد سعد ين سالم (عموما) ، اولاد طعبة ، اولاد يحي بن سالم.) و التي كانت لها مشاركة فاعلة في جل مقاومات القرن 19 .

خلال سنة 1837 مرّ جيش الامير عبد القادر عبر جبل دحوان و بلغ وادي ختآلة غرب مسعد حيث استقبلته وفود غفيرة من مسعد (بدو أولاد نائل الرحّل) ، و في طريقه إلى جبل بوكحيل التقى بالمقدم سي محمد الزبدة كبير أولاد ام الإخوة ، ومن هناك انتقل إلى كاف الطيور وكان لهذا اللقاء اهمية كبيرة ، لانه جمع الأمير بأهم رموز الطريقة الرحمانية في المنطقة [3].

في بداية سنة 1846 قام الامير عبد القادر بحملة ثانية في منطقة الهضاب العليا لتأديب بعض القبائل المتعاونة مع الاستعمار ، و شارك معه اولاد نائل في تلك الحملة بـ 150 فارسا و 400 من المشاة بقيادة سي الشريف بن لحرش ، و توغل الامير بجيشه نحو المنطقة الجنوبية للجلفة بعد ما بعد ما تعرض لهجوم مباغت من القوات الفرنسية بمنطقة عين الكحلة في 13 مارس 1846 ، ليصل إلى مسعد في 19 مارس 1846 وهناك يستقبل من أهاليها الذين قدموا له المؤنة و علف الخيول (الذي كان مؤمنا بالدار المسماة دار الامير بدمد)[4] ، ليتوجه من مسعد إلى زنينة التي وصلها بعد ثلاثة ايام ، وكانت عيون الفرنسيين ترقب تلك التحركات و تهاجم القرى التي يمر بها جيشه ، كعقاب جماعي حتى لا يجد من

يؤويه او يسانده ، مثلما فعلت في قرية سيدي بوزيد في 23 مارس حيث افرغت المخازن و أحرقت البيوت ، مما دفع بسكانها للإلتحقوا بجيش الامير المتوجه نحو قعدة القمامة (افلو) .

في بداية افريل 1846 عاد الامير بجيشه إلى نواحي مسعد و تبعه جمع كبير من اهاليها (الرحّل) ليقفوا معه ضد الجيوش الفرنسية و من آزرهم بعدما علموا أن 400 فارس من (عرش الأرباع) قد التحقوا بالقوات الفرنسية [5] لمساعدتها على اقتفاء أثر الامير و من شايعه ، و بالفعل هاجمت فرنسا و حلفاؤها القبائل الموالية للأمير بجبل بوكحيل في 06 افريل 1846 ، و حاولت القوات الفرنسية التوغل داخل الجبل أكثر للوصول للامير لكنها فشلت في ذلك لحصانة المنطقة و لشدة المقاومة و في نفس الوقت كان الامير بمنأى عنهم رفقة قوم التلي بن لكحل بالشمال الشرقي لجبل بوكحيل [6].

تجدر الإشارة هنا ان الكثير من أولاد عيسى (اولاد لعور ، أولاد ام الإخوة) قد اتبعوا المقاوم بومعزة المتوجه إلى قسنطينة ، و عند عودتهم هاجمتهم القوات الفرنسية في منطقة الجلفة يوم 15 فيفري 1847 ، لكنها لم تستطع مقاتلتهم بسبب الثلوج و كثافة الأشجار ، فاتجهت نحو زكار و دمد ثم عين الناقة و المجبارة و القديد ، كاجراء عقابي للمناطق التي انطلقوا منها هؤلاء الثوار ، لكن تلك القوات سرعان ما عادت إلى الجلفة بسبب سوء الأحوال الجوية [7] .

لقد عانى كثيرا سكان الجلفة و الاغواط من جرائم السفاح (الجنرال يوسف)[8] الذي ضاهت جرائمه . بالجنوب . ما اقترفه السفاح بيجو ، و تأتي تلك الجرائم بعد ما قرّر الحاكم العام (راندون Randon) سنة 1852 السيطرة على الجنوب الجزائري لتأمين التل و فتح الابواب لحملات عسكرية جديدة ، و استغلال تجارة العبيد ، وتجذير الاستعمار بالمناطق الصحراوية .

في تلك الظروف يشرع الجنرال يوسف في بناء معسكر للجيش الفرنسي (بضاية الجلفة) في جويلية 1852 ، ويشن حربا شاملة على عروش المنطقة الجنوبية ليخمد فيهم روح المقاومة.، و في بداية شهر ديسمبر 1852 تزحف جيوش العدو الفرنسي من عدة اتجاهات نحو الاغواط لقمع عروش شمال الصحراء ، التي ناصرت محمد بن عبد الله [9] شريف ورقلة ، ويقرر العدو جعل الأغواط معسكر الجيوش الفرنسية لمراقبة جنوب الجزائر ، و تكون تلك الحملات العسكرية احدى عوامل المقاومات الشعبية التي اندلعت بالمناطق الجنوبية للجلفة و سنختصر على نموذجين بارزين من تلك المقاومات :

النموذج الاول .

مقاومة أولاد طعبة أو (غزية على أولاد طعبة) 1852 .

في نهاية سنة 1852 يأمر الجنرال يوسف العقيد (ثيودور بان M.Th PEIN) وبإشارة من العميل السنوسي . أن يغزو ما تبقى من عرش أولاد طعبة في منطقة جبل (كاربطيط) الذي يعد امتداد لجبل الدخان . قرب مسعد . و يأتي هذا الأمر تأديبا لهم . حسب الرواية الفرنسية . عن عصيانهم و مشاركتهم مع باقي عروش شمال الصحراء في الدفاع عن قصور الاغواط تحت قيادة محمد بن عبد الله .

في تلك الظروف تحدث مقاومة اولاد طعبة ، و التي سماها الفرنسيون في مصادرهم (غزية على اولاد طعبة) ، ومن أهم المصادر التي كتبت عنها (العقيد ثيودور بان M.Th PEIN) في كتابه : (رسائل حميمية عن الجزائر . LETTRES FAMILIERES SUR L'ALGERIE) ، وكتب عنها ايضا المترجم الفرنسي (كلود الان Caude-Alain) في

كتابه : (علبة 1792 ، La boite de 1792) و الذي جاء في شكل (رواية Roman)

ما ورد عن غزية اولاد طعبة للعقيد (بان Pein) ضمنها في كتابه رسائل حميمية وبعث بها إلى مسؤوليه لينال رضاهم ، و ليؤكد أن مهمته العسكرية من اجل خدمة فرنسا .

يتكلم العقيد (Pein) عن تلك المقاومة التي جرت في 11 ديسمبر 1852 قائلا : (... استدعاني الجنرال يوسف و أعلمني أنه بالرغم من أخبار الاستسلام التي تأتي من هنا وهناك ، مازالت هناك قبائل متمردة ومن بينها أولاد طعبة الذين تمركزوا بجبل (كربطيط Korobit) على مقربة من دمد و مسعد ، و لا يريدون الوصول إلى اتفاق ، إنهم في طريقك . يضيف الجنرال . ووحدتك كافية للهجوم عليهم رغم تضاريس الجبل الوعرة .

يضيف العقيد (Pein) كان علينا وضع خطة تمويهية بالتظاهر أننا نسلك الطريق الشمالي (دمد ، بوسعادة) أي أننا نعود إلى عين الريش و لا نهتم بهم ، لأن التوجه جنوبا يكشف الخطة و يجعل أولاد طعبة يرتمون في أحضان بوكحيل الحصين ، و يتفرقون في الأودية ، مما يصعب الأمر علينا .... ذهب أمامي مستكشفون لمراقبة أطراف جبل كربطيط ، وكان يجب أن يلاقوني في دمد لتزويدي بالتفاصيل عن أخبار المتمردين .

كانت الأمور تسير حسب ما أريد ، العدو . يقصد به اولاد طعبة . لم يغادر جبل كربطيط ، من دمد أين كنا نرتاح استدرنا فجأة خلف الجبل ، كان الدليل يعرف المنطقة جيدا ، وأخذنا من الجهة الجنوبية لتي تؤدي مباشرة إلى جبل كربطيط ، كانت الطريق وعرة ، وهذا لم يمنع النقيب (بواتي Butet) من تسلق الجبل متبوعا بالمدفعية ، ومن الجهة الغربية كان هناك ممر سهل عبر من خلاله الفرسان ، لأنني كنت بحاجة إلى جميع القوات ...بدأت المدفعية بقنبلة المنطقة ، ووجدنا مقاومة من اولاد طعبة ، قتلوا ضابطا وجرحوا بعض الجنود ...

لكن العقيد (بان) لم يذكر انه ارتكب مجزرة بجبل كربطيط ، و لم يفرق فيها بين الكبار و الصغار (لأن اغلب من وجدهم من كبار السن و الأطفال . اما الرجال فكان اغلبهم قد التحقوا بمقاومة محمد بن عبد الله . وتؤكد المصادر المحلية (الشفوية) المقاومة الكبيرة لأولاد طعبة ، و القتل الجماعي الذي ارتكبه جيش العدو في حقهم ، (و الشواهد الحجرية المقامة لكل شهيد لا تزال قائمة و شاهدة على تلك المجزر) ، ومن الروايات المتداولة في تلك الموقعة ما قام به الشيخ ابن عطية من مقاومة بطولية مع ابنتيه ، وبعد استشهاده في أعلى الجبل ، قامت البنتين بإلقاء نفسيهما من أعلى الجبل حتى لا تقعان بين أيدي الغزاة ..

يقول (بان Pein) في آخر هذه الرسالة الحميمية . الملطخة بالدماء . أخذنا كل قطعانهم التي كانت في المنطقة ، لكن في الصباح كانت بعض الغنائم قد اختفت ، لقد أخذها أولاد طعبة ، لكن ما أخذناه معنا إلى دمد كان يشكل خسارة كبيرة لهم ...) [10]

هذه الرواية التاريخية عن مقاومة أولاد طعبة يؤكدها ايضا المترجم الفرنسي (كلود الان Caude-Alain) سنة 1853 فقوله : (العام الماضي . اي سنة 1852 . فرقة من أولاد نائل تسمى أولاد طعبة قرب مسعد ثارت و تعرضت للقمع من طرف العقيد بآن) [11].

النموذج الثاني مقاومة اولاد عيسى .

اولا : مقاومة اولاد ام الإخوة (او معركة عين الناقة 1853) .

كتب عن هذه المقاومة الكثير من المؤرخين الفرنسيين مثل (فرونسوا دو فاليري François de VILLARET) ، في كتابه : (قرون السهوب : معالم من تاريخ الجلفة ، الجزء الثاني ، اولاد نائل. Siècles de steppe. Jalons pour l'histoire de Djelfa. Deuxième partie: les Oulad [Naïl) ، و المترجمين العسكريين مثل (لويس ارنو ، Arnaud- L) في مقال له بالمجلة الافريقية بعنوان : (اكتشاف جبل بوكحيل ، Exploration du Djebel bou Kahil) ، كما اشار إلى تلك المقاومة ايضا الجنرال الفرنسي (دوبراي DU BARAIL)، في كتابه : ذكرياتي Mes souvenirs) وغيرهم كثير .

في سنة 1854 اذن الضابط الفرنسي (كولونا دو رنانو Colona de Rnano) مسؤول المكتب العربي (Bureau arabe) بالجلفة بجمع بعض الفرسان من اولاد نائل وذلك لتعليمهم الانضباط و لتدريبهم على التخييم ، و أمرهم بالسير نحو واد جدي ، هيّئت القافلة ، واعدت الأحصنة و الجمال ، و كانت تحمل الشعير و الأكل و الماء في القرب التي تستعمل لعبور المناطق القاحلة من الصحراء ، يرافق القافلة الفرسان و المشاة بقيادة الملازم (قولران Golran) ، و يحملون 15 رشاشا على ظهور 10 جمال .

غادرت تلك القافلة الجلفة في 10 اكتوبر 1854 ، وفي اليوم الأول خيّموا بالمجبارة ووصلوا في إلى عين الناقة في اليوم الموالي ووضعت الحراسة في كل جهة ، كما كانت هناك نقاط متقدمة للمراقبة على المرتفعات ، وكان الهدف من كل ذلك تدريب (العرب) والفرنسيين على اتخاذ الحيطة والحذر .

انتهى مخيم عين الناقة يوم 12 اكتوبر 1854 و شرعت القافلة في السير متوجهة نحو مسعد[12] ، في تلك الأثناء وصل المارشال (جيلبار دو بواي (Gilbert de Boye) الملقب بالمارشال (دي لوجي De Logie) لتحذير الضابط كولونا Colona بأنهم رصدوا مجموعة من الفرسان العرب مسلحة تتجه نحو فرقة من القافلة الفرنسية تخلفت عن السير مع المجموعة ، و أكتشف ان أولائك الفرسان هم جنود (بن هاشم) قائد اولاد أم الإخوة ، الذين بدؤا يطلقون النار على القافلة الفرنسية ، فاصابت رصاصاتهم رجل حصان (دي لوجي De Logie) فأرد ان يترجّل ، لكن طلقا ناريا آخر أصابه في كليته فأرداه قتيلا على الرمل .

طلب قائد الفرسان (الملازم قولران Golran) ، من جنوده الانتقام لما حصل وانطلق (المخازنية) و الجنود الفرنسيين على اثر أولاد أم الإخوة في ناحية المنبع المائي (. عند قرية عين الناقة اليوم .) ، اثناء إطلاق النار من الطرفين

حدثت فوضي في القافلة العسكرية الفرنسية ، يصفها لنا المترجم الفرنسي آرنو Arnaud . الذي كان مرافقا لتلك القافلة . فيقول : تشتت القافلة ، الجمال الخائفة تجري في كل اتجاه بعدما تخلصت بصعوبة من حمولتها ، القرب في جهة ، أكياس الشعير في جهة أخري مبعثرة ، صناديق البسكويت فتحت عند سقوطها ، و على بعد 40 خطوة توجد جثة (جيلبار دو بواي (Gilbert de Boye) منزوعة الملابس و مذبوحة و الجراح تغطي صدره ووجهه ، و من جرح كبير في بطنه يخرج جزء كبير من الأمعاء[13] ، في خضم تلك المعركة تعرض قائد القافلة (كولونا دو رنانو Colona de Rnano) إلى محاولة قتل لكن الرصاصة اصابت حصانه فسقط معه و أضاع مسدساته وكان معرضا للموت لولم يتم إنقاذه من طرف احد (السبايسية) المسمى (لخضر بن بلقاسم) الذي أعطاه حصانه .

من المشاهد الغريبة و الطريفة التي يرويها المترجم (آرنو Arnaud) أنه بالقرب من مكان المعركة كانت هناك امرأة تنزع الحلفاء بكل هدوء ، حتى ظن الطبيب (روبو Robo) . المرافق للقافلة . أنها وحدها من فعلت مثل هذا العمل البشع . (في نظره) . .

بعد الهجوم المفاجئ الأول تجمع أولاد ام الاخوة مرة أخرى بقيادة (بن هاشم) وعاودوا الهجوم على القافلة العسكرية الفرنسية ، و كان هدفهم هذه المرة قائد القافلة (كولونا Colona)، لكن وجود أسلحة رشاشة لدى الفرنسيين و استعدادهم للهجوم في هذه المرة ، و عدم تمكنهم من قتل قائد القافلة الفرنسية ، جعل اولاد ام الاخوة ينقسمون إلى مجموعتين و ينسحبون معتمدين على تضاريس المنطقة ، بعدما خلفوا 13 قتيلا ، و في المقابل فقد الفرنسيون 04 جنود إلى جانب المارشال (جيلبارGilbert) و 09 جرحى[14]

من عين الناقة توجهت فرقة ام الاخوة نحو جبل بوكحيل و في طريقهم مروا باولاد سعد بن سالم الذين مكّنوهم من الدخول إلى جبل بوكحيل الحصين ، وكانت خشية العسكريين الفرنسيين ان يلتحق اولاد ام الاخوة بمقاومة محمد بن عبد الله شريف ورقلة ، لكن (كولونا Colona) ادرك بسرعة ان مطاردتهم في جبل بوكحيل مضيعة للوقت ، فأمر القافلة بالتوجه نحو مسعد ، هناك دفن (جيلبار دو بواي (Gilbert de Boye) في مقبرة العرب ثم انتقلت إلى واد جدي أين كانت ستمر حتما قبيلة اولاد ام الاخوة ، و التي علمت بهذا التحرك الفرنسي فاستعملت أسلوب المناورة مع الفرنسيين ، بأن ارسلت رسائل إلى الضابط (كولونا Colona) تطلب منه العفو و الأمان ، لتسلك طريق آخر داخل جبل بوكحيل .

تفطن الفرنسيون لخطة أولاد أم الإخوة ، و لقطع الطريق امام التحاقهم بمقاومة جنوب الصحراء بقيادة محمد بن عبد الله ، تحرك الجنرال (دوبراي DU BARAIL)[15] القائد الاعلى الاغواط يقود كتائب من الاغواط و قوم من الارباع و بعث لمعاونيه في المنطقة ليتوجهوا نحو منطقة القرارة ، كما انطلق القائد الاعلى لبوسعادة (ثيودور بان M.Th PEIN) على رأس فيلق متجه نحو المنطقة ، والتقى القائدان في منطقة حاسي زيان يوم 17 اكتوبر 1854 ، وترصدا تحركات ام الاخوة في المنطقة لعدة ايام ، مستعينان بـ(فيلبيرFelber) قائد بيرو عرب بوسعادة الخبير في اقتفاء الآثار .

في 26 اكتوبر 1854 يظهر اولاد ام الاخوة مستعدون للمقاومة بمنطقة حاسي لفطح ، و تمت مهاجمتهم من القوات الفرنسية على أربع جبهات في معركة قصيرة غير متكافئة استعملت فيها المدفعية ، و اضطرت قبيلة ام الاخوة للانسحاب إلى الجبال ، جمع بعدها الفرنسيون ما خلفه اولاد ام الاخوة كغنائم ووجدوا ملابس الماريشال(جيلبار دو بواي Gilbert de Boye) [16] .

كتب ايضا (كلود الان Caude-Alain) عن هذه المقاومة وعن الأوضاع غير المستقرة في المنطقة ، ومما جاء في روايته : (... هذه السنة . 1854 . وقبل مجيئي بقليل أولاد أم الإخوة ثاروا هم أيضا و تعرضوا للقمع من طرف الملازم (دورنانو) ، ... توجد إذا اضطرابات ليست دائما ظاهرة ، و يلزم عليّ أن آخذ الحذر خلال رحلتي ، و ويجب عليّا أن أكون على دراية بالقبائل المكوّنة لهذا البلد لأعرف فيمن أضع ثقتي[17]

ثانيا : مقاومة أولاد لعور .

شارك أولاد لعور في مختلف المقاومات المحلية و الوطنية ، فكانت بدايتهم مع مقاومة الحاج موسى الدرقاوي[18] منذ 1833 حينما كوّن جيشا للمشاركة في تحرير مدينة الجزائر ، ليعود إلى مدينة مسعد سنة 1835 و يحاول تنظيم جيشه الذي مثل فيه اولاد لعور جزءا كبيرا ، لكن الجيش الفرنسي بقيادة (الجنرال يوسف) تتبع الحاج موسى و من معه وفرض عليه الانتقال إلى منطقة القبائل ليمكث هناك ثلاث سنوات ، و منها إلى متليلي الشعانبة سنة 1848 ، ليلتحق برفقة ثمانين مجاهدا من أولاد عيسى[19] . (من اولاد لعور و اولاد ام الاخوة) . بمقاومة الشيخ احمد بوزيان بواحة الزعاطشة سنة 1849 و ليستشهد اولائك المجاهدون في تلك المذبحة و على رأسهم القائد موسى الدرقاوي ، الذي علق رأسه على مدخل مدينة قسنطينة لمدة أسبوع مع قادة المقاومة وفي مقدمتهم الشيخ احمد بوزيان .

كانت لقبيلة لاولاد لعور مساهمة كبيرة في مقاومة الامير عبد القادر منذ 1836 إلى 1847 ،ففي الرحلة الاولى للامير عبد القادر حين وصل إلى واد ختالة غرب مسعد سنة 1837 استقبلته وفود كبيرة من اهالي المنطقة في مقدمتهم اولاد لعور ، و بايعوه على المقاومة ضد الوجود الاستعمار رغم علمهم بما سينجر عن ذلك من انتقام فرنسي على المنطقة كلها ، و في الحملة الثانية لامير عبد القادر في منطقة الهضاب العليا أواخر سنة 1847 ، شاركت قبيلة اولاد لعور . مع بقية قبائل المنطقة . في مساندة جيش الامير الذي توغل بجبل بوكحيل و اشتبكت مع القوات الفرنسية كخط دفاعي متقدم ، مما افشل محاولة توغل الخيالة الفرنسيين داخل جبل بوكحيل حيث كان الامير عبد القادر برفقة قوم التلي بلكحل شمال شرق جبل بوكحيل[20] .

كبقية عروش اولاد نائل ساهم اولاد لعور في معظم الثورات التي شهدها القرن التاسع عشر كثورة بومعزة حيث تبعوه إلى قسنطينة سنة 1847 ، و كانت لهم ساهمة كبيرة في مقاومة الزعاطشة 1849 ، و مقاومة محمد ب عبد الله شريف ورقلة خلال خمسينيات القرن التاسع عشر و نظرا لسياسة يوسف الاجرامية في المنطقة و محاولته الهجوم على القبائل الثائرة على الظلم الاستعماري ، قام اولاد لعور[21] و اولاد الاخضر بالتوغل نحو الصحراء سنة 1864 منظمين مقاومة ضد سياسة العقوبات الجماعية التي كان يقوم بها الجنرال يوسف ، كما كان دور في مقاومات المقراني 1871 ...

في بداية القرن العشرين ظهر الزعيم الثائر سي عبد الرحمان بن الطاهر[22] و من ورائه الزاوية الرحمانية الطاهيرية التي ناهضت السياسة الاستعمارية و كانت معقلا للثوار إلى استرجاع السيادة الوطنية .

فالشيخ سي عبد الرحمان بن احمد و المعروف (بإبن الطاهر) شكل مقاومة حقيقة للسياسة الاستعمارية في المنطقة بعدما خمدت معظم الثورات الشعبية في الوطن ، و مثّل استثناء يكاد يكون نادرا في مواجهة الاستعمار رغم قلة الامكانات ، فقد عارض سياسة مصادرة الأراضي و قانون الضرائب لسنة 1912 و دخل في تحدي مباشر مع العدو الفرنسي سنة 1913 حينما قام بعملية استعراضية متحديا العدو بدخوله مدينة الجلفة على راس 100 فارس[23] ، كما عارض قانون التجنيد الإجباري الذي أصدرته فرنسا سنة 1914 ونظم مقاومة عسكرية بجنوب صحراء مسعد ، واشتبك مع مفرزة للجيش الفرنسي في منطقة (طزيوة) قرب تقرت ، لتتواصل مقاومته إلى سنة 1916 حيث كانت له عدة اشتباكات مع جنود العدو منها اشتباك (ضاية القويسي) بصحراء مسعد ، ثم اشتباك المعلبة (على تخوم الجلفة) .

للقضاء على مقاومة سي عبد الرحمان بن الطاهر قامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى مدينة و جدة المغربية ، والقت القبض اثني عشر من اتباعه (اغلبهم من اولاد لعور) وألقت بهم في سجن تعضميت .

بعد الحرب العالمية الاولى عاد سي عبد الرحمان إلى الزاوية الطاهيرية ، و ادرك ان الاستعمار الفرنسي المتجذّر في المغرب العربي لا يمكن التغلب عليه الا بمقاومة مغاربية موحدة ، لهذا الهدف راسل الملك السنوسي بليبيا [24] والزعيم عبد الكريم الخطابي بالمغرب ، و عند اطلاع الإدارة الفرنسية عن هذا المشروع الجهادي المغاربي لدى الشيخ سي عبد الرحمان فرضت عليه الإقامة الجبرية التي لم تدم طويلا نظرا لمكانته بين الناس وخشية أن تثور كل المنطقة في وجه الاستعمار .

أعاد الشيخ سي عبد الرحمان بن الطاهر تشكيل فرقة مسلحة تجوب صحراء مسعد في تحدي جديد للوجود الفرنسي ، ليشتبك مع قافلة عسكرية فرنسية سنة 1923 بمنطقة (طزيوة) . للمرة الثانية . وقتل في تلك المواجهة جنديا فرنسيا ، من هنا يقرر العسكريون الفرنسيون التخلص من الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر ومن مقاومته المسلحة التي أرقتهم طوال الثلث الاول من القرن العشرين ، ليتفق العسكريون و السياسيون على اعدامه في 13 جويلية 1931 [25]، لكنه ظل مصدر إلهام ثوري ضد الوجود الاستعماري لكل أبناء المنطقة ، و ستشكل الزاوية الطاهيرية التي أسسها مهدا للثورة التحريرية الكبرى في كل المنطقة الصحراوية .

الهوامش.

01 . ارنو (Arnaud) : مترجم عسكري فرنسي ، له العديد من التقارير ضمن المجلة الافريقية ، متوسطها 10 صفحات كتب الكثير عن الجلفة و عادات و تقاليد سكانها ، كالمدن و القصور (كقصر زكار و بوكحيل) ، و التضاريس ، و المناخ ضمن تقريره (Exploration du Djebel Boukahil, in Revue Africaine No 34 .) ، و تطرق الى الاحداث الهامة التي عرفتها المنطقة منذ دخول الاستعمار الفرنسي ، كما تناول الطرق الصوفية كالتجانية والدرقاوية .

02 – François de VILLARET : Siècles de steppe. Jalons pour l'histoire deDjelfa. Deuxième partie: les Oulad Naïl]. Ghardaïa . Algérie . 1959 . P – P : 110 .113

03 – obid . P . P : 110 , 111 .

04 . لا تزال هاته الدار بحي دمد (مسعد) ، و قد تعرضت للحرق من قبل القوات الفرنسية سنة 1847 ، لكن الظروف الطبيعية أتت على جزء كبير منها ، و تتطلب التدخل العاجل لترميمها كونها احد الشواهد التاريخية على مشاركة ابناء المنطقة في المقاومة الشعبية ، و ليس بعيدا عنها مقر الزاوية الدرقاوية . بحي النوارة . التي انطلق منا الشيخ موسى الدرقاوي سنة 1832 متوجا الى المدية حيث شكل مقاومة كبيرة في و جه الاستعمار ، لكن كلا المعلمين يعاني الاهمال و الا مبالاة ، متى تتحرك الهيئات المعنية لصيانة هذا الارث التاريخي ؟.

05 – de VILLARET : op . cit . p : 115 .

06 . انظر خريطة تحركات الامير في المنطقة ص : 118 (de VILLARET) .

07 – de VILLARET : op . cit . p : 116 .

08 – عاش الجنرال يوسف بين 1808 . 1866 ، كانت نشأته الاولى في قصر الباي بتونس . و لا يعرف له اصل حتى لقب بيوسف للقيط . اتقن اللغة العربية ثم انتقل إلى الجزائر ، وقلّد الجزائريين في هندامهم وحركاتهم و صار مطلعا على افكارهم واحتياجاتهم . ارتكب جرائم في حق الجزائريين بجرجرة و الجلفة و الاغواط . **انظر** . ابن عتو بليروات : الاحتلال الفرنسي للأغواط و ضواحيها سنة 1852 م و جرائمه ، مجلة عصور جديدة ، العدد 06 ، عدد خاص بخمسينية الاستقلال ، 1433 ، 2012 ، ص : 52 .

09 – محمد بن عبد الله شريف ورقلة ، اختلف المؤرخون في موطنه الاصلي ، فنهم من يقول انه ينحدر من قبيلة بالغرب جزائري ومنهم من يرى انه من اصل تونسي ، وقف في البداية إلى جانب الاحتلال الفرنسي في محاربة الامير عبد القادر ، وبعد ان عينه الجنرال بيجو Bugeaud خليفة على تلمسان بدأ يضايقه ، وراودت بيجو شكوكا في اخلاصه للمشروع الاستعماري الفرنسي فاقترح عليه ان يسافر للمشرق العربي ، مما جعله ينقلب على الفرنسيين ويخوض عدة ثورات امتدت من 1842 إلى 1895 . للاطلاع اكثر على تلك المقاومة راجع : ابن عتو ، مرجع سابق ، ص . ص : 41 . 52

10 – M.Th PEIN : LETTRES FAMILIERES SUR L'ALGERIE . France ET ALGERIE : CHEZ LES PRINCIPAUX LIBRAIRES. PARIS.1871. P – P: 380 – 384

11 – Caude-Alain .Saby : La boite de 1792 . Roman. P : 81 .

اشار ايضا الكاتب الفرنسي (مونجا) إلى مقاومة اولاد طعبة في مقال بالمجلة الافريقية : بعنوان : ملاحظات حول تاريخ الاغواط (Mangin : notes sur l'Histoire de Laghouat, in Revu Africaine.)

12 – Arnaud : Exploration du Djebel bou Kahil in Revue africaine (société historique Algérienne), 34 T.6 . P : 261 .

13 – obid . p : 262 .

14 – obid.

15 . دوبراي فرانسوا تشالز DU BARAIL François-Charles ، ولد في 25 مايو 1820 بفرساي ، عمل بالجيش الفرنسي بوهران ، ثم في مستغانم (فيفري 1840) ، حصل على رتبة ملازم بعد معركة (ايسلي Isly) ضد الامير عبد القادر حيث اصيب بجروح ، سنة 1842 انتقل إلى الاغواط و تمت ترقيته إلى رتبة رئيس كتائب الفرسان رقم 05 ، رقي إلى رتبة جنرال و صار القائد الاعلى للقوات الفرنسية بالاغواط ، حيث ارتكب الكثير من المجازر في حق سكان المناطق الصحرواوية إلى سنة 1857 لينتقل إلى فرنسا و يشارك في الحرب البروسية الفرنسية سنة 1871 ، ثم قائدا للفيلق الثالث الفرنسي سنة 1872 ، ليعين وزيرا للحربية من ماي 1873 إلى ماي 1874 في حكومة ألبرت دي بروليي ، في سنة 1879 تقاعد من الجيش وكرس نفسه لكتابة مذكراته ، و كانت وفاته 30 نوفمبر 1902 .

16 – Arnaud : op – cit .P : 263 .

للمزيد عن معركة اولاد ام الاخوة عد إلى : DU BARAIL François-Charles: Mes souvenirs. Tome deuxième 1851-1864. Avec un portrait. Dix-septième édition librairie plon . paris . 1898 .

17 – Caude : op – cit . P : 81 .

هناك اشارات ايضا لمقاومة اولاد ام الاخوة في كتاب (مونجا : ملاحظات حول تاريخ الاغواط :

- Mangin : Notes sur l'histoire de Laghouat in Revue africaine (société historique algérienne), 211 T.37 .

18 . موسى بن حسن الدرقاوي ، ولد قرب مدينة دمياط المصرية سنة 1796 ، سافر إلى القسطنطينية ومنها انتقل إلى الجزائر وجند ضمن الفرق العسكرية العثمانية ، وما ليث ان فر من الخدمة العسكرية إلى تونس ثم طرابلس الغرب سنة 1826 ثم مصراتة وهناك اتقى الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني شيخ الطريقة المدنية سنة 1829 وتلقى العلوم الشرعية و مبادئ الطريقة المدنية ، ثم انتقل إلى المغرب و منها إلى الجزائر ، و عند احتلال الجزائر صار احد قاة المقاومة (1832 . 1849) انظر : يحي بوعزيز : ثورات الجزائر ، ج1 ، ص ، ص : 55 ، 60 .

19 – François de VILLARET : op . cit . P : 119 .

20 – obid . P : 115 .

21 – obid . P : 127 .

22 . الشيخ سيدي عبد الرحمان بن احمد ، ولد سنة 1874 ، بضواحي مسعد ، حفظ القرآن الكريم و نال نصيبا كبيرا من العلوم الشرعية ، يعد فقيها ، وسياسيا ، و ثائرا و تلك ميزات نادرا ما تجتمع في رجل واحد ، حاول توحيد الجهاد بين دول المغرب العربي ، من خلال مراسلاته لزعماء ليبيا و المغرب ، لتحكم عليه العدو بالعدام في 14 جويلية 1931 . للمزيد عد إلى : محفوظي عامر : تحفة السائل بباقة من سيدي نائل ، مطبعة النعمان ، الجزائر ، 2002 ، ص . ص : 35 . 43 .

23 . مجلة الفتح التربوية ، مسعد ، العدد الاول ، 1985 ، ص : 10 .

24 . نفسه ، للمزيد عد إلى : هرماس ابومحمد هرماس : من فضلاء الجلفة من 1861 إلى إلى مطلع القرن الحادي و العشرين ، الطبعة الثالثة ، دار صبحي للطباعة و النشر ، متليلي غرداية ، 2013 ، ص ، ص : 135 ، 136 .

25 . محفوظي عامر : مرجع سابق ، ص : 25 ، للمزيد يرجى العودة إلى : طاهيري مختار : الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر 1874 . 19312 ، حياته و نبذة عن آثاره ، دار الوسيط للطباعة و النشر و التوزيع ، 2011 .